المقدمة

لمـاذا عليـك قراءة كتـاب، وهناك ملايين من النـاس فـي العالم لا يجيـدون القراءة؟ وحتى من بين أولئك الذين يجيدونها لا توجد سوى ثلة قليلة تقرأ كتبًا بانتظام؛ إذ من السهل تمضية اليوم (عندما لا تعمل، أو لا تقوم بالأعمال الرتيبة اليومية، ولا تتحدث مع الأصدقاء، ولا العائلـة ولا زمـلاء العمـل) بتصفـح الإنترنـت، وإلقاء نظرة سـريعة على عناويـن الأخبار الرئيسة، وتفحص بريدك الإلكتروني، فضلًا عن مشاهدة التلفاز وألعاب الفيديو. لا يمثل أي مـن تلك الأنشـطة القراءة بالمعنى الذي أقصده؛ إذ إن تفحصـ البريد الإلكتروني أو قراءة رسالة نصية يختلف جوهريًّا عن نشاط القراءة كما سأصفه لك؛ فالقراءة حرفة وممارسة، وهدفي هو تزويدك بالأدوات التي تحتاج إليها لتصبح قارئًا أفضلَ.

إن القراءة بصورة أفضل تعني القراءة بصورة أكثر أناة، وثمة سبب وجيه للتأني؛ فكما أنـه يوجـد الطبخ المتأني، والتفكير المتأني، فبالتأكيد توجـد القراءة المتأنية. وفي ردة فعل على الحركة المحمومة لعالمنا الذي يقوده الحاسـب، بدأ الكُتَّاب الذين يكتبون عن القضايا الاجتماعية بتمجيد فضائل مقاربة أكثر تأملًا وتفاعلًا مع العديد من جوانب حياتنا، وليست القراءة اسـتثناءً؛ إذ إن الأسـرع ليـس الأفضل دائمًا؛ فالقراءة لتحصيل المعلومة ليست مثل القراءة المتأنية العميقة؛ أي: القراءة من أجل المتعة والفهم، فالقراءة المتأنية دقيقة؛ لأنها مليئة بسرور غير متوقع.

فإذا ما تناولتَ هذا الكتاب، فأنت مولع بالقراءة مقدمًا، ولكن غالبًا لا يتوافر لديك الوقت الكافي لذلك؛ إذ تصبح القراءة، في أغلب الأحيان، ولا سيما عند نهاية يوم مشحون بالعمل، مجرد تقليب لصفحات صحيفة النيويوركر من دون إنهاء أيٍّ من مقالاتها، أو مجرد إلقاء نظرة على الأخبار في الشبكة العنكبوتية، أو زيارة مواقع وسائل التواصل الاجتماعي. إن القراءة المتأنية هي الترياق لمثل أشكال التشتت هذه التي بدأت تمرضنا في العصر الرقمي.

ليس هدفي إرهاقك ولا تملُّقك أو الدفع بك دفعًا لقراءة مزيد من الكتب، بل أريدك عوضًا عن ذلك أن تحصل على المزيد مما تقرأ، وإذا ما كنت تلقي بنظرة على هذا الكتاب، فإنك ترغب مسبقًا في الحصول على المزيد مما تقرأ، ويعني كذلك أنك ملتزم، ولديك الفرصة للارتقاء لمقتضيات ذلك الالتزام بتحسين الطريقة التي تقرأ بها، وهو ما يجعل تجربتك مع الكتاب أكثر جدية واندماجًا، وبالتأكيد أكثر أناة.

إن الكيفية التي تقرأ بها أكثر أهمية بكثير من الكم الذي تقرؤه؛ فالكتاب الجيد هو الشيء الوحيد الذي سيعلمك كيفية القراءة بانتباه كامل، والتركيز على المتعة والفائدة العقلية؛ لأن المقالات الصحفية والتغريدات والمدونات لن تريك ما تدور القراءة حوله؛ الكتاب وحده هو الذي يمكنه فعل ذلك.

إن الغوص في أغوار كتاب بحيث تستغرق فيه وتندمج وتهجر محيطك بسعادة، يتطلب بعض التحضيرات؛ فلكي تتمتع عليك معرفة ما تبحث عنه. وهدف القراءة المتأنية في عصر السرعة هو الأخذ بيدك نحو تحقيق متعة أكبر في القراءة من خلال بعض القواعد البسيطة، وبعض النقاشات الثرية للكتب المفضلة.

عندما تتمكَّن من القراءة المتأنية، فسيكون لديك مَلَكة آمنة مثيرة لا نهاية لها؛ إذ إن مواقفك من العالم واستجاباتك له ستتغير تغيرًا لم تكن لتتوقعه بتاتًا. لا يمكنني أن أعدك بأن القراءة المتأنية ستساعدك على أن تصبح شخصًا أفضلَ، أو أن تكسب مزيدًا من المال، أو أن تجد حبًّا حقيقيًّا، ولكن بدقَّةٍ، ستتحول، وستصبح حياتك أكثر متعة نتيجة لذلك. تخيل

أنـك لـم تمارس تمارين رياضيـة من قبل مطلقًـا، ثم أصبحت فجـأة رياضيًّـا ناجحًا تجري أميـالًا عـدة كل يـوم؛ إن القـراءة المتأنية تغير عقلـك كما تغير التمارين الرياضية جسـمك، وسينفتح أمامك عالم جديد بالكامل؛ ستشعر وتتصرف بصورة مختلفة؛ لأن الكتب ستصبح أكثر حياة وانفتاحًا لك.

القـراءة المتأنيـة نظام نشـط؛ فبقدر ما تسـتثمر فيه تجده أكثر قيمة وتشـويقًا، وبقدر مـا تقـرأ بجديـة ونشـاط تكـون الفرصة أكبـر أن تميل إلـى العودة إلـى الكتب نفسـها، معيدًا دراسـتها وتقييمهـا وتقييم نفسـك أيضًا؛ فقد كتب وولـت ويتمان أن «القراءة ليسـت صراعًا نصـف نائـم، بـل هـي صراع لاعب رياضي مـن الطـراز الأول... إذ لا ينبغي للكتـاب أن يكون ذلـك الشـيء الكامل، ولكن يجب علـى قارئ الكتاب أن يكون كذلـك»، إذ إن القراءة بالطاقة الجـادة التواقـة التـي ينصح بها ويتمان سـتكملك، وتجعلك أكثر كمالًا وقـوة كما لا يمكن لأي شيء آخر.

فـي القـرن الحادي والعشـرين عقبات أكثر مما عرفناه قبل ممارسـة نـوع القراءة التي أنصح بها في هذا الكتاب، وسـواء أحببنا ذلك أم لا، فإن شـبكة الإنترنت قد سـببت ثورة في الطريقـة التـي نقرأ بهـا؛ إذ يتفق أصدقاء التقنية وأعداؤها أن علاقتنـا بالكلمة المكتوبة قد تغيـرت إلـى الأبـد، حتى إن المدمنيـن على الإنترنت غالبًـا ما يقـرون بإحباطهم مما يحدث عندما يكونون على اتصال بالشـبكة؛ إذ يضيعون سـاعات طويلة كل يوم بالتلهي، ولا يتعلمون إلا القليل مما لا يتجاوز بضع حقائق سرعان ما ينسونها.

سيعلِّم هذا الكتاب أيَّ شخصٍ مهتمٍّ كيف يمكنه أن يصبح قارئًا جيدًا يقظًا، متأنيًا، حتى في عصر الإنترنت؛ تشجع شبكة الإنترنت على القراءة الخفيفة؛ فبإمكاننا التصفح بسرعة، والاستخلاص العَجِل بحثًا عن الحكايات، إذ تشجعنا شبكة الإنترنت على استهلاك اللقيمات الصغيرة سهلة الهضم من الكلمات، أما القراءة المتأنية فتتطلب الوقت والممارسة. سيأخذ كتاب **القراءة المتأنية في عصر السرعة** بيد القراء نحو العادات الجديدة التي يحتاجون إلى

تطويرها ليستخلصوا أكبر قدر من المعلومات من الكتب التي يقرؤونها. والمكافأة عظيمة؛ تتمثل بمعرفة الكثير عن العصور، فضلًا عن المتعة التي لا يمكن إلا للقراءة المتيقظة أن تقدمها.

يقدم هذا الكتاب إرشادًا للشخص المسرِع المثقل الذي يواجه (نصوصًا) طَوال الوقت؛ العديد من رسائل البريد الإلكتروني، والتغريدات، والأخبار القصيرة على الإنترنت، ولكنه يرغب في شيءٍ أكثر فائدة، شيءٍ لا يمكن إلا للقراءة المتأنية أن تحققه؛ إنه دليل صغير أتمنى أن تستخدمه في أكثر الطرق عملية؛ ذلك أنه يقدم إرشادًا للقراء المحنكين الذين يرغبون في زيادة مهاراتهم، وكذلك لأولئك الذين فقدوا الممارسة. ربما لم تقرأ الكثير منذ أيام الكلية؛ ولكن ما زلت تلحظ باشتياق وحنين الروايات على رفوف مكتبتك التي تتذكرها من مقرراتك الدراسية المفضلة، وعندما تصبح أكثر طموحًا، وتسافر إلى (أقاليم من الذهب) أقل استكشافًا (وفق عبارة كيتس)، يمكنك الاعتماد على قراءتك السابقة بصفتها قاعدتك الأساسية، ولكنك تجرب أيضًا صورًا جديدة من المسرات؛ فأمامك معين لا ينضب، وهو جاهز عند الطلب دائمًا؛ وهو المتعة التي تأتي دائمًا مع القراءة الغنية بصدق. وأخيرًا، إن حججي موجهة إلى المعلمين المهتمين، والآباء الذين يدركون أن الاستخدام الدائم للتقنية الرقمية قد أثر سلبًا في المدة الزمنية لانتباه أطفالنا، وقدرتهم على العمل اعتمادًا على أنفسهم في المهام الصعبة. يمكن للقراءة المتأنية أن تساعد على تحسين التركيز في كلٍّ من غرفة الدرس وما بعد المدرسة؛ يقدم هذا الكتاب نصيحة عملية حول كيفية زيادة حب الاستطلاع والالتزام عند القراء الشباب.

في القراءة المتأنية في عصر السرعة Slow Reading in a Hurried Age أقتبس مجموعة من الأمثلة وأناقشها، معظمها من الأدب، ولكن بعضها من التاريخ والعلوم الاجتماعية. العديد منها نصوص أساسية، مع أن قلة منها غير ذلك، وينصب تركيزي على الأعمال المشهورة في الآداب الغربية، من هوميروس وما بعده، وقد اخترت هذه الكتب لأنها تلقي الضوء على مشكلات القراءة الجيدة وفرصها، ولأنها تقدم متعة ما بعدها متعة للقارئ حتى عندما تكون

صعبـة القـراءة. وبصفتـي أسـتاذًا لطلبة السـنة الأولى سـنوات عدة في برنامـج Great Books (كتب عظيمة)، أعرف الإثارة التي يمكن لقراءة الكتب الكلاسيكية أن تقدمها.

لا بـدَّ فـي البدايـة من كلمة تتعلق ببنية الكتاب؛ إذ أبدأ بمسـح للأخطـار المحدقة التي يتسبب بها العصر الرقمي للقارئ الجاد. قد يبدو للوهلة الأولى أن النقاش الافتتاحي بعنوان (المشـكلة)، لا علاقـة لـه بالنصيحة العملية للقـراءة التي أقدمها لاحقًـا، وحقيقةً؛ لا يمكن لأي شـيء أن يكـون أكثـر أهمية مـن إدراك الطريقة التي قد حولت بها شـبكة الإنترنت بعض الأشـياء إلى الأفضل، ولكن في الوقت نفسـه جعلت القراءة بجدية وتأنٍّ وبصورة جيدة، أكثر صعوبة. في (المشـكلة) والفصل اللاحق (الإجابة) أواجه الأبعاد الحقيقية للثورة الرقمية، التي بدلت جذريًّا كل شـيء يتعلق بالقراءة. وإن لم نفكر بهدوء في كيفية التحكم في التأثير المتنامـي للتقنيـة الرقمية في حياتنـا، والوقوف ضده أحيانًا، فلن نكـون قادرين على متابعة ممارسة القراءة الجديرة بالعناء.

بعد (المشـكلة) و(الإجابة)، أقدم قواعدي الأربع عشـرة للقراءة. ويقدم هذا الفصل برنامجًـا ماديًّـا لأولئك الذين يشـعرون بالإحباط من تعقيدات الأدب، ولا سـيما عندما يكون العمـل الأدبـي صعبًـا بصورة ملحوظة. ما أكثر ما سـمعت مـن قراء ناضجيـن تعليقات مثل: «بالمختصـر؛ لا يمكننـي فهم الشـعر!». فإذا كنـت تتمتع بقراءة الكتب ولكن تشـعر أنه يجب أن يكـون هنـاك المزيـد لرؤيته وقوله حول ما قرأته، فسـتمكِّنك هذه القواعـد من أن تصبح قارئًـا أكثـر حذرًا وقـدرة على معرفة ما ينبغي فعلـه بصورة أفضل عندما تفتـح كتابًا. يمكن قراءة قواعدي الأربع عشـرة في أي ترتيب؛ فكل قارئ سـيجد بعضها أكثر فائدة من بعضها الآخـر، اعتمـادًا على تجاربه السـابقة فـي القراءة، إذ يجـب تطبيق القواعـد بالطريقة التي تعمل بالصورة المثلى؛ أي استخدام ما بإمكانك استخدامه.

لا أرغب أن يصبح تشـديدي على القواعد عقبة في طريق متعة القارئ وإثارته؛ إذ يحثنا رالـف والـدو إيمرسـن Ralph Waldo Emerson علـى «القراءة من أجل الصقـل»، للتألق، وللقمم

المؤقتة التي تصعد في الكتاب، ولا أود مساواة تلك القمم بنصيحتي المبرمجة، بل أود عوضًا عن ذلك تزويدكم بمنهجية للعثور على تلك (القمم).

أتبعتُ القواعد بنزهات خمس أوسع في أنواع أدبية أساسية، وفصول عن قراءة القصص القصيرة، والروايات، والقصائد الشعرية، والمسرحيات، والمقالات، ثم الخلاصة. توفر لك هذه الفصول فرصة تطبيق قواعد القراءة الأربع عشرة التي أستعين بها تكرارًا وأنا أناقش مجموعة متنوعة من المؤلفين، وهنا آخذ بيدك من خلال مجموعة من كتبي المفضلة التي تلقي بضوء ساطع على تجربة القراءة وعلى أصناف أخرى من ذلك النوع الأدبي؛ إن للكتب التي توضح كل نوع أدبي قوةً تصنيفيةً؛ إذ تُظهر شيئًا عن ماهية الرواية، وماهية القصيدة الشعرية، وهكذا دواليك بالنسبة إلى الأنواع الأدبية الأخرى. وبمعنى مهم للغاية، فالمقالة هي مونتين[1] Michel de Montaigne، والمسرحية هي شكسبير. أتمنى أن تقرر قراءة بعض الكتب التي أصفها إن لم تكن قد قرأتها من قبل؛ فهي تغطي الكون الأدبي؛ من الكوميديا الحزينة والإنسانية عند تشيخوف، إلى صور الوضوح الحادة المضللة للنفس التي يتعامل معها هنري جيمس، ومن صور النبل المريعة في تراجيديات شكسبير، إلى الهواء النقي عند ويلا كاثر؛ ومن والاس ستيفينز الذي يمكن أن يكون شهوانيًّا مفرطًا ومقيدًا في الحال، إلى بيكيت بأشكال عذاباته السقيمة. إن أي مجموعة كهذه لا بدَّ أن تكون شخصية وجزئية وعشوائية إلى حد ما، وكان عليَّ لزامًا حذف العديد من كتبي الأشد حبًّا إلى قلبي؛ إذ إن مناقشة الكتب كلها التي أحب يعني كتابة عشرة مجلدات، لا واحدًا، ولكنني خطوت الخطوة الأولى، وقدمت مثالًا، كما آمل، عن كيفية الحديث عن الكتب التي تشعر أنها الأقرب إلى قلبك.

ينادي الناقد الإنجليزي الرومانسي العظيم وليم هازلت William Hazlitt بالقراءة بمتعة؛ فالقراءة الجيدة تحتاج إلى شهية، ونصيحتي الأساسية لكم دائمًا هي أن تكونوا شغوفين بالكلمة المكتوبة، والحفاظ على حس الدعابة لديكم؛ يجب ألَّا تكون القراءة عملًا شاقًا، ولا

(1) ميشيل دي مونتين: أحد أكثر الكتاب الفرنسيين تأثيرًا في أوربا في عصر النهضة، ورائد المقالة الحديثة في أوربا؛ ولد في 28 شباط 1533م، وتوفي عام 1592م.

مجـرد هـروب أيضًا؛ ولكنّ صورة من صور الحياة تعاش بنغمـة أعلى، وإذا ما نفذت بالطريقة المناسـبة، فإنهـا تقـدم لك- كما يصـر هارولد بلووم- مزيـدًا من الحياة، ومزيدًا من النـاس الذين لا يمكنك مقابلتهم في الحياة الواقعية، ومزيدًا من الرؤى النافذة للحب والقدر والبركة والمحن، أكثر بكثير مما يحتمل أن تلاقيهم في حياتك بطريقة أخرى. وإن العالم الذي ابتكره لـك المؤلفون العظام يتنافـس مع العالم المُبتَكَر للتنـوع اللاذع، للجمال والظلمة، وللجِدَّة التي تجعلنـا نعجـب بها. والطاقة اللامحـدودة للكلمات، تمنحك الدهشـة، وهي أغلـى الهدايا على الإطلاق، وهي دائمًا مفتوحة لك، في كل لحظة، فالكتب بانتظارك.

obeikan.com